مضامين لغة الخطاب الثوري وإنتاجية دلالاتها في شعر المعتقلات - ديوان الضوء والأثر أنموذجاً

أ. حسين عمر دراوشة
جامعة غزة - فلسطين

الملخص:أنتجت نصوص الخطاب الشعري الثوري في المعتقلات دلالات ذات أبعاد تنويرية مبنية على تيار الرفض والتمرد ضد الظلم وأعوانه، فبنى أهل المعتقلات لغة خطابهم على مضامين وموضوعات تنسجم مع مقاصد النصوص ورسائلها التي تعبر عن رؤية المعتقلين وفلسفتهم في الحياة، فانطلقت النصوص من الفضاء المغلق بتقنيات تبليغية ومشكلات تأويلية أسهمت في حيوية الخطاب وفاعليته؛ لذا جاء هذا البحث ليبين مضامين لغة الخطاب الثوري وإنتاجية دلالاتها في شعر المعتقلات من خلال اتخاذ ديوان الضوء والأثر أنموذجاً لشاعر الأسرى علي عصافرة، من خلال إجراء مقاربات تحليلية لمضامين الخطاب الشعري الثوري مع التركيز على بنية الخطاب والكشف عن أدواته وأساليبه والظواهر اللغوية البارزة في ثناياه التي تحوي في طياتها كثير من الدلالات التي أنتجها السياق، مع استخدام المنهج الوصفي التحليلي من خلال النماذج الشعرية من ديوان شاعر الأسرى، ومن ثم خاتمة البحث وفيها نتائج البحث ونتائجه وحواشي البحث ومصادره ومراجعه.

الكلمات المفتاحية:(مضامين-لغة الخطاب- الخطاب الثوري- إنتاج الدلالة- شعر المعتقلات).

The contents of the language of the revolutionary discourse and the productivity of its significance in the poetry of the detainees - The Office of Light and Impact is a model

Abstract: The texts of the poetic discourse in the prisons produced signs of enlightening dimensions based on the rejectionist trend and the rebellion against injustice and its collaborators. The people of the camps built their speech language on contents and themes that corresponded to the purposes of the texts and their messages that express the vision of the detainees and their philosophy in life. The research came to illustrate the contents of the language of the revolutionary discourse and the productivity of its significance in the poetry of the detention centers by taking the light and impact office as a model for the prisoner poet Ali Asafra, through conducting analytical approaches to the contents of the calligraphy B - poetic poetry with a focus on the structure of discourse and the disclosure of tools and methods and linguistic phenomena prominent in the folds that contain many of the connotations produced by the context, using the analytical descriptive method through the poetic models of the poet poet's poetry, and then the conclusion of the research and the results of the research and its results Research notes, sources and references.

).**Keywords**: (contents - speech language - revolutionary speech - production

المنارة للاستشارات

significance - hair custody

المقدمة:

إن الإنسان شديد الصلة بالمكان الذي ولد فيه ونشأ على ترابه وهو البيئة التي لها الأثر الكبير في حياته وتكوينه الفكري والنفسي، فالإنسان يرتبط بوطنه ارتباطاً وثيقاً، فتأثير الوطن في الإنسان أمر محتوم، فإن هذه الصلة بين الناس والوطن أوثق في نفوس الشعراء، إذ يعاملونه إنساناً ذا روح وهوية، إذ يضع الأديب الوطن في حقيبته في بعض قصائده عندما يضطر أن يتركه، ويحمله إلى أي مكان يهرب ويطارد فيه[1]، وهذا يدل على روح الوطنية التي تسهم في المحافظة على الوطن من كل اعتداء.

إن الشعراء تغنوا في الشعر الوطني بحب وطنهم والهيام به، وجهروا بأنهم جنوده الذين يبذلون دماءهم رخيصة في الدفاع عنه، ونادوا بما ينبغي أن يكون عليه المواطن الغيور من الصفات، ونددوا بالخائن المارق وأنذروه بما سيلقى من وخامة العاقبة وسوء المنقلب[2]، ولما كان الأسرى داخل المعتقلات والزنازين، كان ينبوع شعرهم لا ينضب وشموعه تتلألأ لا تنطفئ، فجاءت كلماتهم ثورية جهادية وألفاظهم تلهب الحماس ومعانيهم تؤجج مشاعر الكفاح، وكل ذلك ناتج تجربة ثورية نضالية، فقارعوا المحتل فأرمي بهم في غياهب الظلمات وقيدهم بالسلاسل أثقلت معاصمهم وأرجلهم، ولكن النفس الشعري الثوري لم يخمد لهيبه بالرغم من السجن والقيود والسلاسل والزنازين وأقبية التحقيق حيثُ الويلات والآلام والآهات والأنات، فاستطاع الأسرى بأدبهم الثوري الانعتاق من الفضاء المغلق والانطلاق صوب الفضاء المفتوح لتنبجس منه رائحة العزة والكرامة والفخار، ولِتتفجر فيه دلالات الحرية والتحرر، ولتبعث منه روح الاستقلال واستشراف المستقبل وزيادة الأمل، ولِيرسم الخطاب الثوري زلزلة أركان المحتل زواله وانحداره وانكساره عن أراضينا المحتلة كافة، فالمتصفح لشعر الأسرى يجد صفحات دواوينهم تعج بكلمات ثورية ومعاني جهادية تنم عن وجود روح وطنية وانتماء حقيقي وصادق للوطن والقضية، كيف لا؟ وهم من افتدى الوطن بأعمارهم وأرواحهم وأنفسهم، فكان منهم شاعر الأسرى/علي محمد عصافرة "أبو محمد"، وُلِدَ ببلدة بيت كاحل، شمال مدينة الخليل في 1982/3/20م، فهو الفلسطيني الأصل الخليلي الدار الكاحلي البيت الغزاوي المنفي، حكم عليه بالمؤبد، فهو أحد الأسرى الأبطال الذين استغلوا وقتهم حتى تمكن من أن يكون شاعرا متميزا، يعد من محرري صفقة وفاء الأحرار عام 2012م، حيثُ تم نفيه إلى قطاع غزة، قد طبع له ديوانا شعر وهما ديوان اللؤلؤ والمحار 2010م طبع ببيروت ، وديوان الضوء والأثر 2012م طبع بغزة، ولهذا الشاعر تجربة شخصية إبداعية تتسم بالمصداقية والبراعة الفنية في صوغ الخطاب وتشكيله من داخل أقبية المعتقلات وزنازين الحقد، ولُقِبَ علي محمد عصافرة بشاعر الأسرى، فجاءت أشعاره كلها تعبر عن حال الأسرى وتمثل شعرهم خير تمثيل، ومن خلال الاطلاع على شعر علي عصافرة نجد أنه يعبر عن قيمة أدبية راقية.

المنارة للاستشارات

وإذا ما تمعنا في مضامين الخطاب في شعر المعتقلات نجد أنه يحمل مجموعة من القيم مثل(الإيمان والعمل والجهاد والمقاومة والتضحية) وهذه قيم راسخة في وجدان الشعراء المعتقلين وعقولهم؛ لأنها تنسجم مع الروح الوجدانية العامة للشعب الفلسطيني الذي يقاوم الاحتلال بشتى الوسائل وعلى رأسها المقاومة المسلحة والتي يقضي بسببها المعتقلينمؤبداتهم، وشعر المعتقلات يمثل العمود الفقري لأدب المقاومة مع ملاحظة التغير الكبير في المضامين الأخلاقية لهذا الأدب في السنوات الأخيرة بسبب الحالة الجهادية المتميزة التي طبعت بطابع الفكرة الإسلامية، وهذا ما لُمِس في شعر علي عصافرة الذي اتخذته أنموذجاً، ويسميه البعض بالدور التثقيفي الذي يتطلب من الأديب إنتاجاً أدبياً ملتزماً[3]، وهذا انطبق على ديوان الضوء والأثر من خلال التزامه بالقيم الجهادية الثورية، وقد جاءت معظم قصائده لتعبر عن القوة والشجاعة والصبر، وجاءت مليئة بالعنفوان والتحدي والحث على الجهاد والمقاومة، فاحتواء النص الأدبي على هذه القيم إنما هو دليل على البعد الأخلاقي، والقيم لا تنتقص من جمالية النص الأدبي مهما كان جنسه، لأنها سلوك جمالي ينبع من فطرة الإنسان، وقديماً لم يقبل " أفلاطون" الشعر إلا إذا كان مرتبطاً بهذا الجانب؛ لذلك رتب أجناس الشعر حسب دلالتها الأخلاقية المباشرة"[4]،ولعل استخدام لفظة المعتقلات دون غيرها، أن الأسير المُأْخُوذ في الحرب[5]، بينما المعتقل اسم مفعول من اعتقلَ: شخصٌ محبوس[6]، فمن هنا يُفهم وكأن الفلسطينيين أناس أشرار في حالة حرب دائمة، والصهاينة شعب يدافع عن نفسه، فنجد تسمية أدب المعتقلات أدق من تسمية أدب الأسرى للسبب السالف الذكر.

لذا جاء هذا البحث ليدرس لغة الخطاب الثوري وإنتاجية دلالاتها في شعر الأسرى من خلال ديوان "الضوء والأثر" لشاعر الأسرى علي عصافرة، وذلك بالحديث عن مضمون الخطاب الثوري وموارده في شعر المعتقلات بإجراء مقاربات دلالية تحليلية للنماذج الشعرية التي تجسد الخطاب الثوري المتصاعد في شعر المعتقلات، والكشف عن دلالات اللغة وإنتاجياتها في السياق الشعري وأثرها على المتلقي، مع استحضار نماذج تطبيقية، وتوضيح كل ما سبق بالمنهج الوصفي التحليلي، فعَمِدَ البحث إلى تحليل المضمون وإنتاج دلالاته اللغوية، ومن ثم الخاتمة وفيها نتائج البحث وتوصياته، وهذا ما سيحاول الكشف عنه في هذا البحث العلمي الجاد الذي يبين مكنونات الخطاب وشيفرته الدلالية وقيمه وموارده التي استقى منها مادته وفحواه.

مضامين لغة الخطاب الثوري وإنتاجية دلالاتها في شعر المعتقلات- ديوان الضوء والأثر أنموذجاً.

يتحدث شعر المعتقلين عن موضوعات ذات مضامين تثويرية وتنويرية تسهم في إذكاء تيار الرفض والتمرد ضد الطغاة الظالمين وأعوانهم، وتوسيع الأفق أمام الأحرار من أجل دحر الظلم والبغاة ومن حط ركبه في رحالهم، فشعر المعتقلات يحمل في طياته كثيرا من الدلالات والمعاني التي ينتجها المعتقل داخل أقبية المعتقلات وزنازين القهر والقمع والحرمان، فالمعتقل يحمل رؤية للحياة ويعبر عن

المنارة للاستشارات

فلسفته بأفعاله ومن ثم أقواله، فهو حر فعلاً وقولاً ونستدل على ذلك من خلال شد وثاقه في غياهب المعتقلات من قبل الطغاة المحتلين، فلسطين هي الموضوع وهي القضية وهي البداية والنهاية، وهي الدافع إلى الكتابة وهي الغاية من الكتابة [7]، فالناظر إلى الخطاب اللغوي في شعر المعتقلات يجد أنه خطاب ثوري بامتياز، فهو أدب يقارع المحتل ويجابه الظلم، لا ينحي ويترنح في ألفاظه ولا يتمايل في معانيه وأفكاره، إنه لهيب ينذر بالعاصفة التي تجيش بها الصدور وتلتهب بها حشاشة من يقبعون تحت وطأة الظلم والقهر وفي أقبية التحقيق وفي زنازين المعتقلات، فالناظر إلى شعر علي عصافرة يلمس ذلك واضحاً، ويمكن بيان اللغة الشعرية المتدفقة في ثنايا مضامين الخطاب الثوري وموارده في شعر المعتقلات، على النحو الآتي:

استنهاض الهمم في الخطاب الثوري بأسلوب يلهب حماس المتلقي، من جراء ما حل بالوطن المثخن بالجراح، فها هو ذا يصور غزة المحاصرة التي ما زال كلمها ينزف من جراء حروب سحقت دمرت البشر والشجر والحجر، كل ذلك أمام مرأى ملايين من بني البشر، فيقول في قصيدة له بعنوان" شأن العزيز أيام معركة الفرقان، الحرب على غزة"[8]:

فمساجدٌ درست وطِيح برسمها ومنازل فوق الأيامى هُدَّتِ

وطفولةٌ وُئدت وأرحام بها ذُبِح الجنين، فمن نصير الأمةِ؟

نلاحظ أن كلماته تنطلق من واقع مؤلم لما حلّ بأهل غزة من دمار وقتل وتشريد، وفي الوقت نفسه يتساءل عمن يناصر الأمة في ما آلت إليه، فاستخدم خمسة أفعال للدلالة على دوام المصائب والفواجع لما تشهده الأمة من وهن وذل وهوان، ومن ثم استفهم مستهجناً ومستنكراً عمّن هو الذي سيناصر الأمة ويشد أزرها، ومستخدماً أداة الاستفهام (مَنْ) التي يستفهم بها عن العاقل فتكون الإجابة بذكر اسمه أو صفته[9]، وقد وضح السكاكي أن (مَنْ) تستعمل للسؤال عن الجنس من ذوي العلم[10]، أي أن شاعرنا يسأل عن علم وكأنه الشاعر العليم ليحدد الجنس والجهة التي ستناصر شعوب الأمة العربية الثائرة والمظلومة، أما نمط الجملة في الخطاب فقد استخدم الشاعر الجملة الاسمية التي خبرها جملة فعلية تدل على الثبات والاستقرار والتأكيد[11]، والجملة الفعلية تفيد التجدد والدوام والحركة، فاستخدم هنا الشاعر في الخطاب الجملة الكبرى وهيَ الاسمية الَّتِي خَبَرهَا جملَة[12]، وفي هذا دلالة على الانعتاق من الفضاء المغلق إلى الفضاء المفتوح حتى على مستوى نظم الجملة ونمطها، ويقول أيضاً[13]:

في غزة الإسلام يثعب[14] جرحنا أروى الرِّمال وبالدماء تحنت

إن التقديم والتأخير بابٌ كثيرُ الفوائد، جَمُّ المَحاسن، واسعُ التصرُّف، بعيدُ الغاية، لا يَزالُ يَفْتَرُّ لك عن بديعةٍ، ويُفْضي بكَ إلى لَطيفة، ولا تَزال تَرى شِعراً يروقُك مسْمَعُه، ويَلْطُف لديك موقعُه، ثم تنظرُ فتجدُ سببَ أنْ راقكَ ولطفَ عندك، أن قُدِّم فيه شيءٌ، وحُوِّل اللفظُ عن مكانٍ إلى مكان[15]،

المنارة للاستشارات

وهذا ما لمسته في شعر الأسرى الذين يمثلهم علي عصافرة بديوانه (الضوء والأثر) باعتباره شاعر الأسرى، والذي حدث في هذا البيت تقديم على نية التأخير كما قال الجرجاني في دلائله، فالتقديم هذا هو الأبلغ[16] في تصوير غزة منبع العزة والكرامة والحصن الحامي لأمة الإسلام والمسلمين.

خطاب موجه للمجاهدين بلغة عسكرية، تعكس مدى رباطة الجأش وبسالة التصدى للعدوان الصهيوني، يقول:

لله غـــــزةُ مـــــا أبـــــرَّ كماتهـــــا صنعوا الملاحم رغم هول المحنةِ

يمتدح الشاعر هنا بسالة أهل غزة بجهادهم ومقارعتهم لعدو الله، فانتقى الشاعر هنا ألفاظا ثورية عسكرية وهي (الكماة[17]- الملاحم- هول). ففيها ثناءٌ ومديحٌ لأصحابه، كما قال عنترة[18]:

ومـــــدجج كـــــره الكمـــــاةُ نزالـــــه لا ممعـــنٍ هربـــاً ولا مستســـلم

فيمدحهم بالقوة والشجاعة والبطولة وشدة العزم، فهم الأبطال الذين يقبلون على الموت؛ لتوهب لهم الحياة ، يصبرون على المكروه وهم يسمعون صيحات الفرسان في غمرة الميدان.

يحث في خطابه الثوري على التضحية والفداء، من أجل العزة والكرامة، فيقول[19]:

فـــــدى ثراهـــــا بـــــالنفوس كرامهـــــا أطفالهـــا ونســـاؤها فـــاعتزت

صور الشاعر مدى التضحية والفداء في الثورة على العدو الغاصب، ورخص الأرواح في سبيل تحقيق الحرية بالثورة على ظلم الاحتلال وجبروته والكفاح والجهاد والنضال والمقاومة من أجل عزة الأمة وكرامتها، فالرجال والأطفال والنساء قد جادوا بأنفسهم لوطنهم الغالي فمنهم من نال الشهادة ومنهم من ينتظر ومنهم من أُلقي في غياهب السجون ولكنه افتدى الوطن وضحى بعمره وبنفسه داخل المعتقلات مبتعداً عن ملذات الدنيا ونعيمها الفاني.

لغة الخطاب الثوري ممتزجة بروح الطبيعة، وبجمالها ووارفة أشجارها؛ لتنساب بها الروح في صورة فنية مشرقة من وحي الجمال وعالم الحرية والخيال، وتراكيب مختلطة بدافع ثوري وثاب، ينطلق من عقيدة راسخة وإيمان قوي بقضية وطنه السليب، فيقول الشاعر في قصيدة بعنوان "ليلة سحرية"[20]:

والـــريح تبعـــث فـــي الغصـــون حياتهـــا تـأبى الخمـول وهجعـة الأحفـاد

وتهـــــز أوراقـــــاً عليهـــــا أغبـــــرت فإذا النقاء على الوجوه ببادي

فيهزنـــــا الإصـــــلاح هـــــزة عاشـــــق للخلـد تنسـى قسـوة الإفسـاد

والـــــواد فـــــي ظلماتـــــه وســـــباته لا ريـح فيـه ولا ضـياء هـادي

فيلاحظ أن شعر المعتقلات ينطلق من عمق التراث العربي العتيد، فانفتحوا على الماضي وشربوا

المنارة للاستشارات

من نبعه، فشاعرنا قد تضمن كلامه، من شعر ابن خفاجة الأندلسي في قوله[21]:

والـــريح تعبـــث بالغصـــون وقـــد جـــرى ذهب الأصيل على لجين الماء

وكذلك ربط الوصف بالواو والفاء مما زاد تماسك النص وإنتاجيه دلالاته في الخطاب الشعري بين الأسير والمتلقي، ويأتي التعبير بالجملة الاسمية والفعلية متقاربين في القصيدة، وإن كانت تقترب من شعر الغنائيين، وترتبط بالإنسان المرابط فوق هذه الأرض، والاسمية تحمل من الدلالات ما لا تحمله الفعلية ، ومن ذلك دلالة التأكيد مثلاً، وهي ما أشار إليه ابن الأثير في حديثه عن (الخطاب بالجملة الفعلية والجملة الاسمية والفرق بينهما) حيث يقول :" وإنما يعدل عن أحد الخطابين إلى الآخر لضرب التأكيد والمبالغة"[22].

لغة استهجان من أن الأحرار مغبونون في عالمنا المعاصر، الذي يتسم بالعدوان الصارخ على شعوب الأرض المستضعفة والهيمنة عليها ونهب خيراتها، فيقول الشاعر[23]:

مـــا أعجـــب الـــدنيا يعـــز ذليلهـــا وكريمهـــا بثيـــاب عـــيشٍ رثـــةِ

يتعجب الشاعر من حال الدنيا وتقلبات الحياة؛ ففيها الذليل المُهان الضعيف عزيز، وفيها الكريم الأصيل الكريم الصابر الحر، معيشته لا تخلو من الضنك والضيق في هذه الحياة، فأصحاب الفضل في أوطانهم غرباء.

يدعو أبناء وطنه وشعبه للجهاد والمقاومة والانتفاض في وجه الظالم، فيقول الشاعر[24]:

نعم

فانهض

ومد الجذر في الأعماق قنبلة

وحمل غصنك الإيمان والمدفع

وقاوم سطوة المنشار

لا تركن

بدأ الشاعر المقطع الشعري بالتأييد والأمر بالنهوض والثورة في وجه الغاصب المحتل، ومن ثم عمد لاستخدام ألفاظ توحي بالثورة والجهاد والمقاومة وهي(قنبلة- المدفع- قاوم- سطوة- المنشار) وختم هذا المقطع بالنهي عن الركون والاستسلام والخضوع للمحتل، فسخر الإنشاء من أجل التعبير عن الروح الثورية المتجددة من أجل الثبات على الأرض وتحريرها.

يصور شجاعة المجاهدين من إخوانه في رثاء حار لهم، في قصيدة بعنوان" بكاء الرجال"[25]:

إنـــــي رزئـــــت بثلـــــة أدنـــــاهم بكتيبـــة إن عـــج قلـــب الوقعـــةِ

أشـــــراف قـــــوم لا يضـــــار نـــــزيلهم وإذا استحثوا خيلهم لم تهتِ

المنارة للاستشارات

قـــــد أجلبوهـــــا حـــــرة أنســـــابها	جابوا بها أنف الصعاب فذلت
وأبـــر مـــن حمـــل اللـــواء فـــوارس	بهـم إذا عـز الفـداء تفـدت
خاضـــوا المنايـــا لا تمـــل نعـــالهم	دوس العـداة ولا لهيـب العركـة
قـــد أقســـموا أن لا تغـــل لهـــم يـــد	ذوداً عـن الحـرم الأسـير فبـرت
علـــق المنـــون بهـــم فأمســـكهم هـــوى	والموت إن تمسك فليس بمفلت

إن الألفاظ التي استخدمها الشاعر جاءت تحوي في طياتها روح الجهاد والشهادة والثورة في سبيل التحرر والنيل من عدو الله في أرض المعركة، فيُلاحظ التوكيد والخبر الذي يدل على الثبات على النهج الصحيح والتمسك بالجهاد والثورة ضد الأعداء، بينما جاءت الأفعال والجملة الفعلية المؤكدة للدلالة على التجدد الاستمراري في أرض الجهاد والاستشهاد والسير على طريق الثورة والثوار. فالجملة تقتضي في نظمها أثار المعاني وترتيبها حسب ترتيب المعاني في النفس، والمعنى وشيجة داخلية تصل بين كلمات الجملة فمعنى الجملة لا يتعلق بمعاني الكلم المفردة بل يتعلق بها وهي في ترتيب مخصوص بهذا المعنى[26]، والألفاظ تبع للمعاني ولاحقة بها .

يصور ثبات الثوار بالزيتون، الذي يعد رمز الثبات على الأرض، ولغة الخطاب عاطفية بامتياز فيها غنج ودلال، وذلك لمحبة الأرض وأشجارها، ولِما للزيتون من سيميائية في الوجود الفلسطيني، فيقول الشاعر[27]:

تميس بغصنها الزاهي
كراقصة
ولا تروى...
سوى من جبهة الفلاح عاشقها
إذا صب الهوى تخلع
ولون الزيت في المدمع
وفاض النور من عرق
ليذكي نار ثورتنا

استخدم الشاعر هنا علامة الحذف التي ينبغي أن نلمح هنا الشاعر قد يعمد عمداً إلى ترك بعض الفراغات أو الثغرات التبليغية في نصه؛ بهدف توظيفها توظيفًا فنيًا، تاركاً لاجتهاد القارئ وفطنته وحسن توجيهه للمعنى فرصة ملء هذه الفراغات تأسيساً على المعنى الكلي للنص أو وحدة الدلالة، فمن هنا يصبح موقف القارئ من النص أكثر إيجابية[28]، ومن ثم ربط النص بواسطة أداة العطف الواو التي تفيد مطلق الجمع وَهُوَ التَّشْرِيك فِي أصل الحكم أَو فِي بعض صِفَاته أَو فِي لَازم الْمُسَمّى إِمَّا

المنارة للاستشارات

ذهنا أَو عرفا وَنَحْو ذَلِك من الْجِهَات الجامعة لاقْتِضَاء الْعَطف[29] لتجسيد صورة الألم والثبات رغم المعاناة وقسوة الحياة.

وصف ثورات الأحرار في البلدان العربية، فيقول في قصيدة بعنوان "صباح النصر"[30]:

لقد سقط الطواغيت
وهد البؤس والقهر
عصا الثوار قد لقفت
حبالاً ألقيت تسعى
أفاعي صاغها الكبر
صباح الحق مؤتلفا
صباح العز يا مصر
فغزة طالها الظفر

يتضح النفس الشعري الثوري في هذه الأسطر فالتدفقات الشعورية جاءت مستبشرة ومتفائلة من خلال عنوان النص، وجاءت مؤكدة بأن النصر قد تم في ثورات الربيع العربي وسقوط الدكتاتورية الظالمة والطواغيت ونسف البؤس والقهر المُلقى على عاتق الشعب المصري، وبدأت الأوطان تستنشق عبير الحرية وطيب شذاها وكل ذلك بالتشبيه والاستعارة والكناية عن قوة الثوار كقوله(هد البؤس والقهر- عصا الثوار- أفاعي صاغها الكبر) وكاستخدامه الترميز على الثورة بالصباح فأشار الشاعر على قريب على سبيل الخفية[31]، والتضمين من القرآن في قوله تعالى:﴿فَأَلْقَاهَا فَإِذَا هِيَ حَيَّةٌ تَسْعَى﴾ (طه: 20) فزاد المضمن في كلامه نكتة لا توجد في الأصل كالتورية والتشبيه[32]، ويشتم من هذه الأسطر رائحة الثورة والعزة والكرامة والحق والحرية.

وقال في قصيدة له بعنوان "يا شام"[33]:

يا شام أنت أميرة الثوار
قد أمهروك نفوسهم
فتخضبي بدمائهم
وتكللي بالغار[34]
خاضوا الحتوف أسنة
وبيارقا[35]

بدأ الشاعر بطلَب الإجابة لأمْرٍ ما بحرف من حروف النداء يَنُوبُ مَنابَ "أدعو"[36]، لتوجيه الدعوة إلى المخاطب، وتنبيه للإصغاء، وسماع ما يريده المتكلم[37]، والحرف هنا هو(يا) لكلّ مُنادى، قريباً كان، أو بعيداً، أو مُتوسطاً[38]، والغرض من النداء هنا لتأكيد وتعظيم مكانة الشام والتنبيه على مكانتها؛ لأنها سوط الله في الأرض، ينتقم بهم ممن يشاء من عباده[39]، واستخدم قد للتأكيد على

المنارة للاستشارات

تحقيق[40] التضحية والفداء والبذل والعطاء من أجل تحرير الشام من الطغاة الظالمين، ومن المُلاحظ أنه استخدم ألفاظ ذات دلالات ثورية وهي(أميرة الثوار، أمهروك، تخضبي بدمائهم، خاضوا الحتوف أسنة، بيارق)، وكذلك استخدم أدوات الربط(الفاء- الواو) مما أدي إلى تماسك النص وتحقيق دلالاته وانفتاحها على المتلقين في كل الأزمنة، بل هناك نظم الجملة له دلالته، ونوع الفعل له دلالته، واختيار اللفظ المعبّر له دلالته ، وإن كانت دلالة النشوء في الفعل ظاهرة؛ لأنه يدل على الحركة، وهي تقتضي التجدد ، فهو -كذلك-أقدر من الاسم على التصوير الحركي، وربما تظهر تلك الدلالة بصورة أوضح.

لغة الخطاب تصف العمليات الثورية والعسكرية ضد العدو الجاثم على الأرض المنتهك للعرض والغاصب للدار، فيقول الشاعر، قصيدة له بعنوان "سلمت يمينك" الخليل بعد صمت طويل تكلمت عملية نشأة الكرمي[41]:

داو الجـــــراح وأيقـــــظ الأفراحـــــا واترك عدوك في الدما سياحا

داو الجـــراح فقـــد أيســـنا بُرأهـــا طـول العنـاء يـورث الأتراحـا

مكـــث الـــذليل علـــى الكـــرام مســـيداً مقـــت وذل يزهـــق الأرواحـــا

يـــا ابـــن الخليـــل وفارســـاً متهجمـــاً أوفي البيان إلى الورى إفصاحا

وهـــمٌ إذا زعمـــوا الحـــراب تكســـرت أن الرعـــاع تملكـــوا المفتاحـــا

أن الحمـــــاة اســـــتمرأوها ذلـــــةً وتناولوا فـوق الأسى الأقداحا

ســـلمت يمينـــك قـــد بعثـــت حياتنـــا مـن قبوهـا وأريتهـا الإصـباحا

إنـــا إذا جـــف العطـــاء وأمحلـــت جـدنا وكان عطاؤنـا مسحاحاً

نـــذر الكـــلاب إلـــى القطيـــع نجـــزه والكلـبُ حـول خبائنـا نباحـا

فـــانظر دمـــاء الغاصـــبين مســـيلها في شـارع الستين كان سـفاحا

هـــام العـــدا خلقـــت لهـــا أســـيافنا ولهامنـا خُلـق العـلا وضـاحا

وخيولنـــا مـــن عزمنـــا فـــي غبطـــةٍ وتخالهـا وسـط الرحى أرياحـا

إن الرياســـة مركـــبٌ حجـــرٌ لنـــا أن نعتليه على الـورى سياحا

المنارة للاستشارات

افتتح الشاعر النص بفعل الأمر هو طلب حصول هذا الفعل[42] من المخاطب على وجه الاستعلاء[43]، ومن ثم أخذ يستعرض حال الأمة والشعب وما عاناه من ويلات وظلم وقهر من الاحتلال، وبعد ذلك يخاطب أبناء شعبه من خليل الرحمن من أجل استنهاض الهمة والثورة على الباغي الذي اغتصب الدار، وانتهك العرض، وجاس المدن والقرى والمحافظات ظلماً وطغياناً، ويستجدي الشاعر النفس الثوري في مدحه لمنفذ العملية الاستشهادية نشأت الكرمي من الخليل، ويركز على الإشادة بقيم البذل والعطاء والتضحية والفداء في سبيل الله والوطن، ومجابهة المحتل الغازي الذي جثم على أرض فلسطين، وملاحقة الطابور الخامس والفاسدين الذين جروا على الشعب الويلات، فالثائر الحر لا يهمه نبح الكلاب وعوائها، كما لا يضر السحاب نباح الكلاب[44]، ومن ثم يفخر الشاعر بصنيع الثوار الأحرار الذين أذاقوا العدو مر الكأس وجرعوه غصص النزال في أرض المعارك، فها هي دماء الغاصبين تسيل في شارع الستين وسط ذعرهم وخوفهم من سواعد الأبطال وهاماتهم التي تناطح الجوزاء، لا يهابون المنون يزحفون مع كل وادٍ، ويردون حياض غيتم[45] لينالوا الجنة التي مهرها النفوس، فقال(ﷺ): "أبواب الجنة تحت ظلال السيوف"[46].

ومن يختم قصيدته بالتأكيد أن الرياسة والظفر والنصر والتمكين يكون للمجاهدين والثوار الذين رووا بلادهم بدمائهم الطاهرة والزكية وجادوا بأنفسهم في سبيل الله، وينبغي لمن كان صادق الرغبة قوي الفهم ثاقب النظر عزيز النفس شهد الطبع عالي الهمة سامي الغريزة أن لا يرضى لنفسه بالدون ولا يقنع بما دون الغاية ولا يقعد عن الجد والاجتهاد والجهاد المبلغين له إلى أعلى ما يراد وأرفع ما يستفاد فإن النفوس الأبية والهمم العلية لا ترضى بدون الغاية في المطالب الدنيوية من جاه أو مال أو رئاسة أو صناعة أو حرفة.

نلاحظ مما سبق أن النفس الثوري يجلب ألفاظا ثورية ومعاني تحمل في طياتها الكثير من المعاني الجهادية الاستشرافية لواقع الأمة وحالها المعاصر، ففلسطين هي من جادت لها الأرواح والنفوس بالغالي والرخيص من أجل التحرر ونيل الحرية والعيش بكل أمن واطمئنان.

يعتز بالإخوان ويفخر بجهادهم وثورتهم، وله قصيدة " ثار الغرام" التي نظمها في انطلاقة حماس في الذكرى الثالثة والعشرين ، يقول فيها[47]:

ثـار الغـرام إلـى إلـى الأُلـى مـن جحفـل عـزوا فعـز بـه الحمـى والـدار

اليـوم آفـاق الكرامـة أشـرقت وحماسـنا الإصـباح والأنـوار

عشـرون عامـاً قـد مضـت وثلاثـة وحمـاس في عـين الزمـان فخـار

أرخـوا عنـان الخيـل فـي سـاحاتها فشـروا النفـوس وطابـت الأقـدار

خيـل قوائمهـا الياسـين مـد جناحـه وعلـى المتـون فـوارسٌ أطهـار

المنارة للاستشارات

كـــالوا فـــأوفوا كـــيلهم لعـــدوهم ومع الكيل مذلة وصغار

كـــم غـــارةٍ ذاق اليهـــود وبالهـــا والموت في ساحاتهم دوار

حيفـــا ويافـــا والخليـــل وقدســـنا في كل ساح العدو تبار

كُنـــا قبيـــلَ حمـــاس فـــي أوطاننـــا غربـــاء فضـــت حولنـــا الأنصار

لا الليـــل ليـــلٌ تســـتلذ رُقـــاده مثـل الطيـور ولا النهـار يُ

افتتح الشاعر النص بالاستعارة حيثُ شبه الغرام بإنسان يثور فحذف المشبه به وهو الإنسان وصرح بالمشبه وهو الغرام علي سبيل الاستعارة المكنية وسر الجمال في ذلك تجسيد المحبة بين الإخوان وبيان مدى التمسك بالمبادئ والثوابت الوطنية، فالاستعارة أنها تعمل على إيجاد عالم جديد غير العالم المألوف للآخرين، أو تغفل الفوارق بين الأشياء لوجود علاقة كامنة[48]، فهو يكيل المدح ممتزجاً بالفخر لحماس وجمهورها مستخدماً ألفاظ توحي بمجملها بالروح الثورية التحريرية التي تهفو إلى طرد المحتل وهزيمته وبيان عورته أمام دول العالم الحر، ويقول واصفاً زمانه مفتخراً بقوة المجاهدين من أبناء شعبه[49]:

ولـــى زمـــان تُســـتباح ديارنـــا ويقيـــل فـــي أفيائهـــا الفجـــار

هـــذا زمـــان المرهفـــات مـــن القنـــا والضـــامرات بعـــدها الإعصـــار

ففي هذا نفض للذل ورسم لدرب العزة والكرامة بنفس ثوري وروح جهادية مستبشرة بالنصر.

لغة خطابية ثورية تتسم بالنقد واللوم اللاذع والاستهزاء بمن يصافح المحتل ويطبع معه ويرتمي ثملاً في أحضانه موكل له أمره وموالي له جميع أعماله، فيقول في قصيدة بعنوان " ثورة العهر"[50]:

قاوم بغانية وكأس

بالعرى والعهر المنظم في شوارعنا الجديدة

بالسكسفون بكل آلات الطرب

في ساح رام الله والبيرة المجيدة

يصور الشاعر الإنسان الدنيء الذي باع دينه ووطنه بعرضٍ من الدنيا، ويمد يديه للمحتل ويصافحه ويعانقه ويطبع معه ويترنح أمامه وهو ثمل، بأنه إنسان عاهر يعزف بآلات الطرب ويرقص طرباً على أشلاء الشهداء وآهات الجرحى وأهالي الثكلى وأنات الأسرى- وللأسف- من أبناء جلدتنا في مدننا المجيدة التي قدمت وضحت.

وقال أيضاً[51]:

شكل جديد لام الأطر الجديدة

المنارة للاستشارات

ومدنا مع ذا قيثارة وكأس فاره
فكأسكم فياض يا معللي
يمدنا بالسكر أعواماً مديدة
آدابنا رجعيةٌ
فأعلن عليها ثورة يا ملهم القيم الرشيدة
والعهر يصنع ثورة
وثورة العهر بأشكال عديدة

ويستهزئ الشاعر بمن يحتسي الخمر مع الشبان اليهود في منتديات ثقافية وفي أشياء ما أنزل الله بها من سلطان، ويتهكم الشاعر ممن يوسم الثوار والمجاهدين بأنهم رجعيون، ولكن رب ضارة نافعة، فالعهر يصنع الثورة ويذكي روح الثوار من أبناء الشعب فالفساد حتماً يولد ثورة وخير ما يدل على ذلك ثورات الربيع العربي التي هبت في وجه الفساد والعهر والظلم.

التأكيد على أفعال الثوار وأقوالهم، والتعبير عن ذلك بلغة الجهاد والاستشهاد والمقاومة في الساحات الثورية وميادين الوغى، فيقول الشاعر في تصوير الحكام[52]:

دقوا الكؤوس على الجراح فأسكروا	حكامنا ومن الحياء تعرت
صمتوا على نزف الجراح مهانة	واستمرأوا طعم الخنا والذلة
والصمت لحدٌ ضمّ في جنباته	رأس الكرامة والوفاء والعزة
لغة الدماء فصيحةٌ لكنهم	مَرَدوا[53] على لغة النفاق فذلّتِ

يذكر الشاعر أن الحكام العرب في حالة سكر منذُ قديم الزمان وذهب ماء الحياء من وجوههم، وصمتوا في حالة ضعف وهوان مميتة، وعشقوا طعم الذل والفساد، وقبروا القيم والشيم العربية الأصيلة كالكرامة والوفاء والعزة، ومن ثم يستشرف السبيل الوحيد لنيل الحرية وهي لغة الدماء الفصيح التي يفهمها العدو لا لغة النفاق والتطبيع والمفاوضات العبثية من فوق الطاولة وتحتها، إن الشاعر يستصرخ أصحاب العزيمة القوية والهمة المتوقدة التي تشعل ضرام المعترك، وتلهب من سولت نفسه بالمزايدة على الثوار وموكب فيلهم الذي يشق طريق الحرية والنصر.

التمسك بدرب الجهاد والاستشهاد والثورة على البغي والظلم، فيقول في قصيدة بعنوان"غدي أمسي" مستدعياً ماضيه ومستحضراً واقعه ومستشرفاً مستقبله[54]:

غدي يومي
ويومي من بني أمس
وأمسي نطفة الشجن

المنارة للاستشارات

وروح الخوف واليأس
وأمسي..
فرقة الأحباب والشهداء والوطن
وأسي معلم الرمس
فهل أحيا
بأي دم
وأي غد؟
وهل رحم ولدنا فيه ننساه؟!
وهل ننسى مراياه؟!
وهل في العمر متسع
لنولد مرة أخرى؟

ينطلق الشاعر بعزيمة قوية وهمة عالية ممتزجة بمرارة الأسر التي تشعر بالألم والقهر والحيرة والحرمان والظلم، مستخدماً الاستفهام للسؤال عن المستقبل المجهول، والتكرار القائم على ترديد لفظة من التركيب الأول في الثاني، فالدال"(غدي) يتلاشى في السطر ويتكرر " يومي" ثم يتلاشى في السطر الثالث ويتكرر "أمسي"، والعلاقة بين الدوال المتكررة علاقة تراسل حيثُ تتداخل المفردات تداخلاً تراسلياً تذوب فيه حدود الدلالات القاطعة، أو يبتعد الدال عن مدلوله، وتكون العلاقة بين الدوال المتكررة تفاضلية تحدث نوعاً من المقارنة بين دالة طرفين، ينتج عنها دلالة جديدة جامعة بين مضمون الطرفية السابقين[55].

ويلاحظ هنا أن الدال المهيمن " أمسى" قد تكرر بعد التراسل مرتين ليكون بؤرة النص، وهو ما يشي به عنوان النص:" غدي أمسي" ، وهو ما يعكس أحاسيس الأسير الذي يعيش الحاضر في الماضي، بما يحويه من مخزون تذكري، ومع قسوة معاناة انعزاله عن حاضره يجعل أمسه رمسه، ثم يتساءل: فهل أحيا؟ تناقضات نفسية قد توصل صاحبها إلى الضياع لولا الإيمان الراسخ والعقيدة الثابتة، والاحتساب والصبر ابتغاء رضا الله تبارك وتعالى.

الاستهزاء بالخطاب الثوري للحكام العرب، فقال في قصيدة بعنوان " الخطاب الثوري على أثر خطاب القذافي 2011/2/22م" [56]:

وقال. وقوله الفصل:

أنا المجد

أنا العز
أنا للأمة الجد
أنا الشعب

المنارة للاستشارات

أنا الوطن
أنا البحر
وبطشي الجزر والمد
أنا التاريخ والماضي
وحاضركم
ويقول:
أنا ..نا..نا..
ونا ..نا..نا..
وثمة بعد ذا بعد

يستهزئ الشاعر في قصيدة الخطاب الثوري بالقذافي الذي يقدس نفسه ويفخر بها، ولا يعترف بمن سواه من أبناء أمة العرب والإسلام، حتى على صعيد التعبير والألفاظ أكثر من استخدم الأنا والضمائر التي في مجملها تعبر عن الحالة النفسية والشعورية التي تشعر بجنون العظمة وحب الرئاسة والسيادة، ولعل ترديد كلمة أنا وتكرارها فيه دلالة على حب النفس وإظهارها على خلق الله، والتعدي على الذات الإلهية في بعض خطاباته ومرسوماته، وهذا دليل على الهزيمة النفسية أمام الجماهير والشعوب والشعور بالدونية، لأنه مولع أبداً بالاقتداء بالغالب في شعاره وزيه ونحلته وسائر أحواله وعوائده[57].

يلوم العرب وخمود شيمهم وضعفهم وهوانهم وانغماسهم في عالم الشهوة والملذات الذي يُؤدي إلى الهلاك والمعصية مما ينتج عنه هزيمة وهوان بين دول العالم، وكذلك يستهجن صم العالم وغطرشته وغض بصره حيال قضية فلسطين وما يحل بمدننا وقرانا من أسر واستيطان ونهب للإنسان وللشجر وللحجر، فيقول الشاعر[58]:

والعرب سَكرى والعوالم تشهد ... والكل يبصر والعيون عوار

وقوله أيضاً[59]:

أراك منعماً تخماً فهلا ... أنخت الذل واقتدت السلاحا
أما أعياك كالمخمور مكث ... على النعماء تحتضن الملاحا
تنام خلي الذهن لا تبالي ... ودم أخيك قد ملأ البطاحا
حساؤك مشتهى من كل صنف ... وغزة تحتسي اليوم الجراحا
أما هزتك أشلاء الضحايا ... وأشباه الموات ترى قداحا

المنارة للاستشارات

أصـــــخر أنـــــت لا يعـــــروك وجـــــد وقـد فقـد الفطـيم أبـا فناحـا

أصـــــخر أنـــــت لا يبكيـــــك طفـــــل كسـير القلـب قـد فقـد الجناحـا

صور الشاعر في خطابه الثوري حالة الحكام العرب، وهم في سكر وتخمة ونوم وعبث ولهو مجون، ومن ثم بين حال غزة وهي تذبح والعرب لا يحركون ساكناً، فالأشلاء تناثرت والبيوت تطايرت والأشجار قلعت والحجارة بعثرت، والرجال فقدت والنساء ترملت والشيوخ قتلوا والأطفال ناحوا وضربوا، كل هذا والعرب سكارى في حالة ثمل وسبات عميق بلا إفاقة فقلوبهم كالصخر بل أشد قسوة، واستخدم الشاعر أسلوب الاستفهام بحرف الهمزة للسؤال عن مفرد[60]، والغرض من ذلك الاستنكار والاستهجان من حال العرب وصمتهم.

وقوله أيضاً[61]:

شكل جديد لام الأطر الجديدة

ألوان لوحتكم – فخامتكم-

على التاريخ معجزة فريدة

فلقد خلت من حمرة العنف المسلح والردى

من سمرة الرشاش في الكف الطريدة

يتحدث الشاعر عن السياسة الهوجاء التي يتبعها الغرب مع أمة العرب، بهدف نهب خيراتها والتحكم في مقدرات شعوبها، ويستهزأ بالحكام العرب ويبين عارهم الذي جلبوه على أنفسهم وعلى أمتهم، بتفاوضهم مع المحتل والتطبيع معه وخلو صفحاتهم من النضال والكفاح المسلح والثورة وامتشاق السلاح في وجه العادي، ولعل استخدامه الاعتراض لتوكيد الجملة وتقويتها[62]، وليبرهن على ذلك الحال، وهذا الاعتراض جار مجرى التأكيد[63] على الحال الذين هم فيه من الكبرياء والتسلط والدكتاتورية الظالمة.

يرسم مذهب الثوار الأحرار بإعراضهم عن الدنيا ومتاعها، وحلمهم بالالتحاق بركب الشهداء، وذلك بقوله في قصيدة بعنوان"مذهب الحر"، يقول فيها[64]:

ســـــــأترك شـــــــاطئ الشـــــــعر وأســـــلك لجـــــة البحـــــر

بعيـــــداً عـــــن هـــــوى نفـــــس تهـــــيم بربـــــة الخـــــدر

عميقـــــــاً حيـــــــث لا غـــــــزل يلهـــــي عـــــن جنـــــى الـــــدرِّ

ســـــــأهجرُ رقـــــــة الـــــــنغم تفتـــــــر همـــــــة الفكـــــــر

واعقـــــــر ناقـــــــة الأحـــــــلام تقصـــــد مســـــلك القفـــــر

المنارة للاستشارات

ضـــــياع أن تعـــــيش العمـــــر بـــــين اللحـــــن والشـــــعر

سأمضـــــي حيـــــثُ أفعـــــالي تجـــــاري حومـــــة الصـــــقر

وأقصـــــد ربـــــة الثـــــوار تمحـــــو معلـــــم القهـــــر

وأدرك موكـــــب الشـــــهداء مقـــــداماً علـــــى الجمـــــر

وأحفـــــظ عهـــــدهم بـــــدمي وهـــــذا مـــــذهب الحـــــر

يصدح لنا الشاعر من بنيات أفكاره من داخل أسره، ليصدح بكلمات عذبة رقيقة المآخذ ثورية الهدف، تبين مذهب الأحرار الأبطال ونهجهم في هذه الحياة، وكيف ينظرون للحياة ورونقها، وأي حياة التي يطمحون إليها، وماذا يتمنى الأسير داخل معتقله، وكيف ينظر لرفقاء دربه في الكفاح الذين قضوا نحبهم منهم والذين ما زالوا ينتظرون، فالشاعر يتمنى أن يدرك موكب الشهداء الذين هم أكرم منا جميعاً، ويرسم نفسه الثوري ويترجمه بلغة الدماء لتتناقله أجيال الحرية ويكون معيناً لا ينضب في النضال، ومثالاً يُحتذى به في عالم الثوار الأحرار الأطهار، فالشاعر في هذه اللوحة رسم لنا صورة أدبية ثورية رائعة متماسكة، فسبك الجمل وجعل كلماتها تتعلق بعضها ببعض؛ للدلالة على معنى مخصوص بوضع كلماتها في هذا التركيب ، ويرى الجاحظ أن النظم هو ما وافق اللفظ لمعناه ، وتأليف الألفاظ وحسن تنظيمها قال:" وأجود الشعر ما رأيته متلاحم الأجزاء، سهل المخارج، فتعلم بذلك أنه قد أفرغ واحدا، وسبك سبكا واحدا، فهو يجري على اللسان كما يجري الدهان"[65]، وكذلك استخدم الشاعر الفعل المضارع المقترن بالسين الدالة على التنفيس والاستقبال[66] وهي:(سأترك- سأهجر- سأمضي) وذلك لاستشراف المستقبل وتقريب وقوعه[67].

توجيه الخطاب الثوري للمتخاذلين والمتآمرين على قضية شعبهم[68]:

قم واغتسل

وأنا أدلك كيف تصبح سيدا؟

في خطوتين

طريق عزك والنقا

قم وانتفض

والبس نقاباً واحتجب

كن حرة من غزة

كن ثوبها

أو نعلها

تغدو ملاكا طاهراً

المنارة للاستشارات

أو حر نفسك سيدا

يأمر الشاعر المتخاذلين ومن زينت لهم أنفسهم سوء أعمالهم بأن ينهضوا ويهبوا ويتطهروا من أدران التآمر والتجسس على الشعب وخذل الأمة، ويفتخر الشاعر بنهجه بقوله "أنا" وهذا يدلل على مدى قوته انتمائه لوطنه ولقضية أمته وشعبه، من ثم يدعوه للانتفاض والامتثال لكل فئات الشعب حتى المرأة الحرة التي في غزة الأبية، وينصحه بأن يضم صوته لها لا أن ينقض عليها ويتآمر، حتى يغدو طاهر الجسد والروح ويكون حراً سيداً معززاً على ثرى بلاده.

الاعتزاز بالأهل في الخطاب الثوري والافتخار بالعائلة الثائرة والمجاهدة، فقال في قصيدة:" السنبلة"[69]:

خلقت كحبة القمح ولي منها تسامي

فرأسي شامخ وأبي عقيد الدار حاميها

وجدي غرة البلد وأخوالي نواصيها

وأعمامي فوارسها إذا اهتزت عواليها

وعماتي وخالاتي محاريب التقى فيها

وهن عن الورى حجب إذا ألقت سوافيها

بذا أبناؤهم شبوا فحولا في مرابيها

استخدم الشاعر التصوير الحدثي يعني توظيف النص لمشاهد خارجية مماثلة لحالة المتكلم، أما التمثيل الكنائي فإن أبسط صوره هي أن تقول الكلمات شيئاً وتعني شيئاً آخر وراءه، فهو ينهض على المعادلة[70]، فمثل العائلة بالسنبلة ونفسه بحبة القمح وفي هذا دلالة على القوة والتماسك، فذكر حمولة عائلته المجاهدين والثائرين في وجه الظلم والاحتلال، ورسم صورة فنية مترابطة وموصولة ببعضها بعض لتبين مدى تماسك النص وكذلك تماسك الأهل والعائلة وتوحدهم في وجه العدو الغاصب.

الاعتزاز بصنيع الإخوان وثورتهم على المحتل الغاصب، فيقول[71]:

أبا صهيب فداك النفس والولد إنا بنوك على يمناك أبطال

إن الوغى شهدت لنا ساحاتها نحن الكماة وفيها أنت خيالُ

واجنح إلينا تجد ظلاً ورابيةً فيها الوفاء ونهر الحب سيال

المنارة للاستشارات

فاحمـــل علينـــا همـــوم الـــدهر نحملهـــا نحـن الجمـال وأنـت اليـوم جمـال

يؤكـد الشـاعر أن ميـادين الحـرب وسـاحات النـزال نشـهد بـأن الإخـوان هـم فرسـان المعـارك فيصولون ويجولون ويثخنون في عدوهم قتلاً وخطفاً، ويتيهون في كبرياء الثوار في أرض المعترك، فهم أوفياء لـوطنهم وإخـوانهم الثـوار رفقـاء الـدرب على طريـق الثـورة والتحريـر، ويـأمر الشـاعر أبـا صـهيب أخوهم بالجنوح للإخوان فهم نهر للحب سيال وفيه مبالغة على كثرة المحبة، ويدعوه بأن لا يقلق من هموم الدهر فهم يحملونها عنه كالجِمال عندما تحمل الأمتعة وهو الجَمال أي هو من يقول القافلة بالرغم من ثقل حمولتها، وكل هذا نلمح فيه معاني التضحية والفداء والتماسك والتوحد في صفوف الجهاد والثورة وفي مواجهة الملمات والنوائب ونوازل الدهر، ويقول[72]:

والله يشـــــهد والإخـــــوان كلهـــــم أن ابـن يوسـف للإسـلام سـربال[73]

هـــذا الصـــقيل ويحمـي الحـق منطقـــه هـــذا الـــوفي مقـــل القـــول فعـــال

هـــذا النقـــي نقـــاء الـــثلج ســـيرته وثـــب وشـــد وإقـــدام وإقبـــال

هـــذا الـــذي ســـبقت فينـــا فضـــائله كأنهـــا علـــم أو فـي الـــورى خـــال

يمتدح الشاعر الأخ حسن يوسف فيشهد الله و الإخوان أن ابن يوسف كان قميصاً ودرعاً للدين الإسلامي، ومن ثم استخدم اسم الإشارة أعرف المعارف[74] للدلالة على صدق الأوصاف والأفعال الثورية التي جاءت في الأبيات السابقة.

الخطاب الثوري العسكري في مخاطبة النفس، في قصيدة له بعنوان "أنظم خطوتك"[75]:

يا رأسي المشغول بالأوهام ماذا أشغلك

حب الحياة أم البقاء وأن تزول منصبك

أم المنايا حوم وتهاب خوض المعترك

ارفع حجاب الجبن تبصر دون لبس موقعك

يخاطب شاعر الأسرى نفسه وإخوانه في الأسر، وهو في قعر مظلمة وزنازين حالكة السواد يناجي فيها نفسه ويدعو فيها ربه بالفرج، ولكنه ينهض من قلب المحن ويثبت عند التمحيص، ويأمر نفسه برفع حجاب الجبن والخوف، ويدعوها بلغة ثورية عسكرية من أجل إعادة تنظيم الخطوات، لنيل ما هو مطلوب من حرية واستقلال.

الخطاب الثوري في تصوير بسالة الشهداء وتصوير مكانة الشهيد في جنات الخلد عند مليك مقتدر، فيقول الشاعر[76]:

واصـــــطفي منهـــــا ســـــلاحاً صـــــادقاً وإيمانـــــاً يلهـــــم الجنـــــد الأبـــــاة

المنارة للاستشارات

ومضـــى يخطـــب لعســـاء اللمـــى ربـــة الخلـــد لبـــوس الطيبـــات

ومضـــى ليثـــاً عظيمـــاً همـــة فاتـــك العـــزم فتـــيّ الوثبـــات

واثـــق الخطـــو ســـعى حتـــى قضـــى أربـــاً فـــي المجـــد واختـــار الحيـــاة

حتى الشهداء لهم نصيبهم من الخطاب الثوري في شعر الأسرى، لأنهم قدموا أنفسهم وأجسادهم قرباناً لله سبحانه وتعالى ولوطنهم المحتل بغية تحريره من أيدي الغزاة الغاصبين، فيعبر الشاعر عن مدى شجاعة الشهداء وبسالتهم في تلقين العدو الدروس القاسية، وكيف أن الله يصطفي من يشاء من عباده الصالحين المجاهدين المرابطين، ومن ثم يصف الحالة الإيمانية عند الثائر الشهيد وكيف يدخل جنات ربه ويلاقي حور العين في انتظاره، فيُلاقي الله مقبلاً غير مدبر، كالأسد في الشجاعة والقوة والعظمة، يفتك بالعدو صاحب عزم وهمة وثابة وواثق الخطى مطمئن بالنتيجة الحتمية بأن النصر والتمكين لأولياء الله ولعباده الصالحين، فامتزج الخطاب الثوري بالقيم الدينية الثابتة والعقيدة الإيمانية الراسخة في قلوب المؤمنين.

الملاطفة والرقة في الخطاب عند وصف حال الثوار داخل المعتقلات، فيقول الشاعر في قصيدة له بعنوان:" ثمانية" كتب معاذ سعيد بلال قصيدة عنوانها (ثمانية في غرفة) أثنى فيها على شباب غرفته فلاطفته[77]:

ثمانيـــــة كـــــرام مـــــن كـــــرام فحـــول مـــن نجائـــب معرقينـــا

رمـــت بهـــم الكتـــاب رمـــي عـــز تصـــد بهـــم رمـــاح المعتـــدينا

فكـــانوا أهلهـــا والكـــفء يومـــاً وكـانوا حصـن دعوتنـا الحصـينا

فمـــا لبثـــت رحـــى الأيـــام حتـــى دعـــت لهـــم الخوازيـــق المئينـــا

فقـــاموا فوقهـــا وعلـــوا ولكـــن علوهـــا ســـادة متربعينـــا

صور الشاعر حال الأسرى من إخوانه، فاستخدم ألفاظ رقيقة تحمل في مضمونها معاني ثورية جهادية تبين مدى ثبات النفس أمام السجن وقهرها للظالم وقيوده، فعطف بعض الجمل على بعض[78] باستخدام الوصل بالواو هي الأداة التي تخفى الحاجة إليها، ويحتاج العطف بها إلى لُطف في الفهم، ودِقة في الإدراك، إذ لا تفيد إلاَّ مُجردَ الربط، وتَشريكَ ما بعدها لما قبلها في الحكم[79]، واستخدم الفاء التي تفيد الترتيب مع التعقيب كما تفيد التشريك[80]، وذلك لرسم صورة فنية تمثل جهاد الأسرى وكفاحهم الغازي، ولبيان مدى تدرج نفس الأسير وإقبالها على الشهادة لا إدبارها في ساحات النزال والوغى، وصور الشاعر مدى شجاعة الأسرى وقوتهم كيف لا؟ وهم الأبطال الذي

المنارة للاستشارات

اقتحموا المجاهل حاملين أرواحهم على أكفهم، فهم اعتلوا الصعاب وشقوا عباب الليالي وسدفها الموحش وجعلوا السرمد صباحاً حراً طليقاً، فاستخدم الشاعر كلمة الخوازيق[81] كناية عن ظلم المحتل وقسوته وعنجهيته، فبين ركوبهم على الخوازيق ليس أذلاء بل سادة متربعين في موكب شرف وعزة وكبرياء لا انكسار وذل وضعف، فاستخدم الشاعر أداة الاستدراك لكن لتوسطها بين كلامين متغايرين نفياً وإيجاباً، فاستدرك بها النفي بالإيجاب بالنفي[82].

الخطاب الثوري من خلف زنازين العزل الانفرادي، في قصيدة " خلف الأسر"[83]:

يا أيها المعزول خلف الشمس طال الانتظار
مر الزمان ولا حِراك وفات في العمر القطار
مر الرفاق وخلفوك فريسة تحت الجدار
يقتات قلبك والشباب يستبد ولا فرار
قد شد حولك فكه شد المعاصم بالسوار
الليل فوقك جاثم وقراره بئس القرار
ما أثقل الأيام تمضي مفرداً خلف الستار
فردا تعيش على الحنين المر للوطن المعار
يا أيها الملقى على جمر الغضى والعزل نار
قلبي تفطر واكتوى كبدي وأعياني انحصار
الله حسبك إن نسيت وضعت وسط الانهيار
الله حسبك إن نسيت وجمعهم لبس الخمار

يصور الشاعر حال الأسرى في العزل الانفرادي، الذي يعد جريمة من أبشع الجرائم التي يرتكبها الاحتلال الصهيوني في السجون الإسرائيلية، وقد عاشها الشاعر، وألقت بظلالها القائمة على روحه الشاعرة، فجاء هذا الخطاب الثائر ينادي على المعزولين خلف الشمس، ويكرر في السطر الثاني والثالث التركيبين"مر الزمان لا يمر في العزل " ولا حراك" وأن جميع رفاقه مروا وتركوه وحده في هذا الجحيم، ولذلك تثقل أيامه، ويكرر في سطرين متتاليين مفردا، فرداً" للتأكيد على الشعور بالوحدة والوحشة، ثم ينتهي النص بالتركيب ذي الدلالة الإيمانية" الله حسبك" متكرراً مرتين، تأكيداً على عقيدة الصبر والاحتساب.

يتضح مما سبق أن نصوص لغة الخطاب الثوري ودلالاتها في شعر المعتقلات تتميز باللغة الشاعرة التي تعبر عن الصدق الفني النابع من ذات الشاعرة وفلسفته في هذه الحياة، ويبرز في ثنايا الخطاب المقصدية التبليغة بمنحى دلالي متصاعد يبلغ رسائل المعتقلين وينقل جزءاً من معاناتهم للعالم الإنساني الحر، لعل وعسى أن يجدوا من ينصت لآرائهم ويشعر بمعاناتهم، وينقل قضيتهم لأحرار العالم وشرفائه.

المنارة للاستشارات

لقد تميزت لغة الخطاب باعتمادها على بنية نصية تثويرية متفاعلة ذات مشكلات تأويلية تمثل مرجعيات دلالية سبكت النص الثوري بالحالة التي يمر بها المعتقلون، ونظمت العلاقة بين المبدع والمتلقي ممّا أنتج نصوصاً ذات بؤر دلالية متجددة تعبر عن حالة الألم البشري، فوظف أهل المعتقلات تقنيات كتابية وأسلوبية في لغة الخطاب الثوري أتاحت للمتلقي حيوية التأويل، ومحاولة التأثير في سلوكياته وما تفاعله مع النص المنتج من داخل الفضاء الحالم المتمرد.

فالقيمة الموضوعية تآلفت مع الدلالة اللغوية للنص المنتج داخل سياق ثوري جامح، استطاع أهل المعتقلات من خلال أدبهم سكب مشاعرهم وأحاسيسهم الثورية الملتهبة التي تسعى جاهدة إلى النيل من المحتل وأعوانه وإلحاق الأذى بالطواغيت المجرمين، والتشهير بهم وتعريتهم من المشاعر الإنسانية، وشد أزر الإخوان والوحدة والتماسك في ساحات الوغى والنِزال.

نتائج البحث وتوصياته

النتائج والتوصيات

إن الدراسة التحليلية للخطاب الثوري في شعر المعتقلات من خلال ديوان الضوء والأثر أنموذجاً لشاعر الأسرى علي عصافرة، جاءت مليئة بالنتائج؛ لأنها شملت التحليلات لمضامين الخطاب الثوري وموارده، وهذه أهم النتائج والتوصيات على النحو الآتي:

1- امتلك المعتقلون ناصية الخطاب الثوري والقول الفصل، فهم مجاهدين أحرار أبطال، فدوا وطنهم بأرواحهم قبل أعمارهم، فلذلك يصدر الخطاب عن عقيدة إيمانية وطنية راسخة وأفعال جهادية صادقة، تزيد مضمون الخطاب قوة وفحواه تأثيراً في نفس المتلقي.

2- انطلق الخطاب الثوري في نصوص شعر المعتقلات، من نظرة وطنية قومية شاملة لأمة الإسلام والمسلمين في سبيل تخليصهم من الظلم والقهر والذل والضعف والهوان، فلذلك جاء خطابهم الثوري مستدعياً للماضي بخبراته ومصوراً للواقع بمشكلاته ومستشرفاً للحل في المستقبل، وراسماً لطريق الحرية والتحرير، كل هذا من داخل الفضاء المغلق الذي انبجست منه الرؤية الاستراتيجية لطبيعة لإدارة الصراع مع العدو ومقارعته في كل شبر من ثرى فلسطين الحبيبة.

3- مضامين لغة الخطاب الثوري في شعر المعتقلات موجهة لكل أحرار العالم، من أجل استنهاض همم الشعوب نحو الحرية والتحرر من كل أشكال الاحتلال والظلم والهوان، فوجهة للإخوان ورفقاء الدرب في الجهاد والمعتقلات ولأفراد المجتمع وللحكام وللساسة، لعلهم يرشدون ويدعمون الأحرار، أو يتركون وشأنهم في رسم درب العزة والكرامة للشعب الفلسطيني الباسل.

4- تعدد المفردات داخل الخطاب الثوري تبعاً لدلالات السياق، فاستخدمت تقنيات دلالية كالترميز الدلالي والكنائي والاستعاري والمجازي، كل ذلك ساعد على بلورة الفكر الثوري والثقافة الجهادية لدى المعتقلين، فالناظر إلى الحقول الدلالية فهي تجمع بين المعنى المعجمي والسياقي، وقد جاءت ألفاظ وسائل الثوار وأدواتهم وأفعالهم وقيمهم أكثر المفردات شيوعاً لما لها من دلالة في

المنارة للاستشارات

الصراع مع العدو.

5- تتسم لغة الخطاب الثوري وإنتاجاته الدلالية بالشعرية والمقصدية في تبليغ رسائل النصوص وإيصالها لجمهور المتلقين.

6- ضرورة عقد مؤتمرات علمية وأيام دراسية حول لغة نصوص أدب المعتقلات والكشف عن دلالاتها الكامنة في التراكيب والألفاظ والمفردات.

الهوامش

.

(1) قضايا حول الشعر،عبدي بدوي، دار المعارف، القاهرة 1985م، ص242-243.

(2) قضية الشعر الجديد، محمد النويهي، دار الفكر، ط2، بيروت 1971م، ص522.

(3) صوت الأسير، نشرة غير دورية، غزة، 2000م، ص4.

(4) النقد الأدبي الحديث، محمد غنيمي هلال، دار العودة، بيروت 1986م، ص35.

(5) المعجم الوسيط ، مجمع اللغة العربية بالقاهرة، دار الدعوة ، مصر، ج1/ص71.

(6) معجم اللغة العربية المعاصرة، أحمد مختار عمر وآخرون، عالم الكتب، القاهرة 2008م، ج1533/2.

(7) بانوراما الرواية العربية الحديثة، سيد النساج، دار المعارف، القاهرة 1980م، ص13.

(8) ديوان الضوء والأثر، علي محمد عصافرة، رابطة الأدباء والكتاب الفلسطينيين،ط1، غزة 2012م، ص5.

(9) التطبيق النحوي، عبده الراجحي، دار النهضة العربية، بيروت 1981م، ص60.

(10) مفتاح العلوم، يوسف السكاكي (ت 626هـ)، ضبطه وكتب هوامشه وعلق عليه: نعيم زرزور، دار الكتب العلمية،ط2، بيروت1987م، ص 311.

(11) شرح الكافية الشافية، لابن مالك الطائي الجياني (ت 672هـ)، تحقيق:عبد المنعم أحمد هريدي، منشورات جامعة أم القرى، ط1، السعودية، ج1/ص238.

(12) مغني اللبيب عن كتب الأعاريب، ابن هشام الأنصاري(ت761هـ)، تحقيق: مازن المبارك ومحمد حمد الله، دار الفكر ، ط6، دمشق 1985م، ص 49.

(13) ديوان الضوء والأثر، ص5.

(14) يثعب: يسيل وينفجر .انظر: المعجم الوسيط، ج1/ص95.

(15) دلائل الإعجاز، عبد القاهر الجرجاني(ت471هـ)، تحقيق: محمود شاكر، مطبعة المدني ، ط3، القاهرة 1992م، ص 106.

(16) المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر، لابن الأثير(ت637هـ)، تحقيق: محمد محي الدين عبد الحميد، المكتبة العصرية للطباعة والنشر، بيروت، ج2/ص172.

(17) الكماة: واحدها الكمي وهو اللابس السلاح، وقيل: هو الشجاع المقدم الجرئ. لسان العرب، محمد بن مكرم بن منظور الأنصاري الإفريقي(ت711هـ)، دار صادر، ط1، بيروت1414هـ، ج15/ص232.

(18) جمهرة أشعار العرب، أبو زيد القرشي (ت 170هـ)، حققه وضبطه وزاد في شرحه: علي محمد البجادي، نهضة مصر للطباعة، القاهرة، ص365.

(19) ديوان الضوء والأثر، ص6.

(20) ديوان الضوء والأثر، ص18.

(21) ديوان ابن خفاجة، تحقيق: عبد الله سنده، دار المعرفة، ط1، بيروت 2006م، ص14.

المنارة للاستشارات

[22] المثل السائر، ج2/ص51.

[23] ديوان الضوء والأثر، ص5.

[24] ديوان الضوء والأثر، ص29.

[25] ديوان الضوء والأثر، ص7 -8.

[26] دلائل الإعجاز، ص266.

[27] ديوان الضوء والأثر، ص28.

[28] اللغة والإبداع الأدبي ، محمد العبد، دار الفكر، القاهرة 1989م، ص37-38.

[29] الفصول المفيدة في الواو المزيدة، صلاح الدين الدمشقي(ت761هـ)، تحقيق: حسن الشاعر، دار البشير، ط1، عمان 1990م، ص128.

[30] ديوان الضوء والأثر، ص71.

[31] مفتاح العلوم، ص411.

[32] جواهر البلاغة في المعاني والبيان والبديع، أحمد الهاشمي (ت 1362هـ)، ضبط وتدقيق وتوثيق: يوسف الصميلي، المكتبة العصرية، بيروت، ص340.

[33] ديوان الضوء والأثر، ص78.

[34] شَجر ينْبت بريا فِي سواحل الشَّام والغور وَالْجِبَال الساحلية دَائِم الخضرة يصلح للتزيين. انظر: المعجم الوسيط ج2/ص665.

[35] البيرق: الْعلم الْكَبِير .انظر: المعجم الوسيط ج1/ص78.

[36] البلاغة العربية، عبد الرحمن الميداني (ت 1425هـ)، دار القلم والدار الشامية، ط1، بيروت ودمشق 1996م، ص 240.

[37]النحو الوافي، عباس حسن، دار المعارف، القاهرة، ج4/ص1.

[38] جامع الدروس العربية، مصطفى الغلاييني (ت1364هـ)، المكتبة العصرية، ط28، صيدا 1993م، ج3/ص148.

[39] المعجم الكبير، لأبي القاسم الطبراني (ت 360هـ)، تحقيق: حمدي السلفي، مكتبة ابن تيمية، ط2، القاهرة، (4163) ج4/ص209.

[40] همع الهوامع في شرح جمع الجوامع، جلال الدين السيوطي (ت 911هـ)، تحقيق : عبد الحميد هنداوي، المكتبة التوفيقية، القاهرة، ج2/ص596.

[41] ديوان الضوء والأثر، ص42.

[42] المنهاج الواضح للبلاغة، حامد عوني، المكتبة الأزهرية للتراث، القاهرة، ج2/ص92.

[43] جواهر البلاغة، ص 76.

[44] مجمع الأمثال، أحمد الميداني (ت518هـ)، تحقيق: محمد محيى الدين عبد الحميد، دار المعرفة، بيروت، ج2/ص215.

[45] الغيتم: الموت. انظر: مجمع الأمثال، ج2/ص368.

[46] صحيح البخاري، محمد البخاري(ت256هـ)، تحقيق: محمد الناصر، دار طوق النجاة، ط1، السعودية 1422هـ، (2818) ج4/ص22.

[47] ديوان الضوء والأثر، ص43-44.

[48] الصورة والبناء الشعري، محمد حسن عبد الله، دار المعارف، ط1، القاهرة 1981م، ص32-33.

[49] ديوان الضوء والأثر، ص44.

المنارة للاستشارات

[50] ديوان الضوء والأثر، ص34.

[51] ديوان الضوء والأثر، ص35–36.

[52] ديوان الضوء والأثر، ص5.

[53] مردوا: صقلوا وتربوا. انظر: المعجم الوسيط ج2/ص862.

[54] ديوان الضوء والأثر، ص45.

[55] بناء الأسلوب في شعر الحداثة، محمد عبد المطلب، دار المعارف، ط2، القاهرة 1995م، ص401.

[56] ديوان الضوء والأثر، ص83.

[57] ديوان المبتدأ والخبر في تاريخ العرب والبربر ومن عاصرهم من ذوي الشأن الأكبر، عبد الرحمن بن خلدون(ت 808هـ)، تحقيق:خليل شحادة، دار الفكر،ط2، بيروت1988م، ص184.

[58] ديوان الضوء والأثر، ص44 .

[59] ديوان الضوء والأثر، ص10.

[60] شرح المفصل، لابن يعيش(ت643هـ)، مكتبة المتنبي، ط1، بيروت1900م، ج8/ص150.

[61] ديوان الضوء والأثر، ص35.

[62] التطبيق النحوي، ص350.

[63] الخصائص، لأبي الفتح عثمان بن جني(ت 392هـ)، تحقيق: محمد النجار، دار الهدى، ط2، بيروت، ج1/ص336.

[64] ديوان الضوء والأثر، ص47.

[65] البيان والتبيين ، لأبي عثمان عمرو بن بحر الجاحظ (ت255هـ)، تحقيق وشرح : عبد السلام محمد هارون (ت 1408هـ)، دار ومكتبة الهلال، بيروت، ج1/75.

[66] الجنى الداني في حروف المعاني، لابن أم قاسم المرادي(ت 749هـ)، تحقيق: فخر الدين قباوة ومحمد نديم فاضل، دار الكتب العلمية،ط1، بيروت1992م، ص 59 وقاموس الأدوات النحوية، حسين سرحان، مكتبة الإيمان، ط1، المنصورة 2007م، ص80.

[67] المعجم الوسيط ج1/ص410.

[68] ديوان الضوء والأثر، ص 14.

[69] ديوان الضوء والأثر، ص39.

[70] المرايا المتجاورة، جابر عصفور، الهيئة العامة للكتاب، ط1، القاهرة 1983م، ص353.

[71] ديوان الضوء والأثر، ص24 –25.

[72] ديوان الضوء والأثر، ص24.

[73] سربال: القميص والدرع. انظر: لسان العرب ج11/ص335.

[74] الأصول في النحو، لابن السراج (ت316هـ)، تحقيق: عبد الحسين الفتلي، مؤسسة الرسالة، بيروت، ج1/ص26.

[75] ديوان الضوء والأثر، ص9.

[76] ديوان الضوء والأثر، ص 20.

[77] ديوان الضوء والأثر، ص 30 .

[78] بغية الإيضاح لتلخيص المفتاح في علوم البلاغة، عبد المتعال الصعيدي (ت 1391هـ)، مكتبة الآداب، ط16، القاهرة 2005م، ج2/ص278.

[79] جواهر البلاغة، ص180.

المنارة للاستشارات

(80) قاموس الأدوات النحوية، ص102.

(81) الخازوق: هو عَمُود مدبب الرَّأْس كَانُوا يَجْلِسُونَ عَلَيْهِ المذنب فِي الْأَزْمَان الغابرة فَيدْخل من دبره وَيخرج من أَعْلَاهُ. انظر: المعجم الوسيط، ج1/ص232.

(82) المفصل في صنعة الإعراب، أبو القاسم الزمخشري(ت538ه)، علي بو ملحم، مكتبة الهلال، ط1،بيروت 1993م،ص 398.

(83) ديوان الضوء والأثر، ص32-33.

المنارة للاستشارات